حدود النص . وقد راعه مايسميه التوسع العجيب فى فهم الألفاظ ، وجعلها تدل على معان وإطلاقات لم تعرف لها ولم تستعمل فيها . وإن كانت تلك الألفاظ قد استعملت فى شىء منها فباصطلاح حادث فى الملة بعد نزول القرآن بأجيال . كان الاستاذ أمين معنيا بكيفية فهم عبارة القرآن على غرار الإمام الشاطبى .

حقا إن المفسر يلون النص ، ولاسيما النص الأدبى بتفسيره له ، ويحدد بشخصيته المستوى الفكرى للعبارة . ولن يفهم إنسان من النص إلا مايرقى إليه فكره . وبمقدار هذا يتحكم فى النص ، ويجر العبارة إليه جرا . وما أكثر مايكون ذلك واضحا حينما تسعف اللغة عليه ، وتتسع له ثروتها من التجوزات والتأولات ، فتمد هذه المحاولة المفسرة بما لديها فى ذلك . وإن المستطاع منه فى اللغة العربية لكثير وكثير .

والمتصدى للتفسير النقلى إنما يجمع حول الآية من المرويات مايشعر أنها متجهة إليه ، متعلقة به ، فيقصد إلى ماتبادر لذهنه من معناها ، وتدفعه الفكرة العامة فيها ، فيصل بينها وبين مايروى حولها فى اطمئنان : أما حين يصير التفسير عقليا اجتهاديا فإن هذا التلوين الشخصى يبدو أوضح .

لابد من تقدير تدرج دلالة الألفاظ ، وتأثرها فى هذا التدرج بتفاوت مابين الأجيال ، وفعل الظواهر النفسية والاجتماعية ، وعوامل حضارة الأمة ، وما إلى ذلك مما تعرضت له ألفاظ العربية فى تلك الحركة الجياشة التى نمت بها الدولة الاسلامية والنهضة الدينية والسياسية والثقافية . وقد تداولت هذه اللغة العربية فى تلك النهضات أفواه أمم مختلفة الألوان والدماء والماضى والحاضر ، فتهيأت من كل ذلك خطوات تدريجية فسيحة متباعدة فى حياة ألفاظ اللغة العربية حتى أصبح من الخطأ أن يعمد متأدب إلى فهم ألفاظ هذا النص القرآنى الأدبى الجليل فهما لايقوم على تقدير تام لهذا التدرج والتغيير الذى مس حياة الألفاظ ودلالتها ، وعلى التنبه إلى أنه إنما يريد ليفهم هذه الألفاظ فى الوقت الذى ظهرت فيه .

والأستاذ أمين يدرك أن القرآن الكريم باق يروض الحياة دائما مع صلته الوثقى بها . يدرك مبدأ الوجوه القرآنية ، ويرى من واجبنا أن نفهم معانى متجددة نامية ، لا أحد ينكر هذا . لكن ينبغى أن ننسب إلى القرآن من هذه المعانى ماكان طريق فهمه الحس اللغوى للعربية ، وسبيل الانتقال إليه دلالة اللفظة الأولى فى عصر نزول القرآن .

والأستاذ أمين يفرق بعد هذا بين معنى اللفظة فى عصر نزول القرآن ومعناها